بسم الله الرحمن الرحيم

اللسان فصاحته من جهة وحفظه وسلامته من الآفات من جهة أخرى

محمد بن عبد العزيز المخزومي

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء36].

يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أدخرها ليوم المعاد، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، موضح طريق الهدى والسداد، وأفصح الناطقين الضاد، القائل: (من يضمن لي مابين رجليه ومابين لحييه أضمن له الجنة) رواه البخاري والترمذي.

فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن والاه إلى يوم المعاد

وبعد:

إن موضوع [اللسان فصاحته من جهة وحفظه وسلامته من الآفات من جهة أخرى] لذو أهمية بالغة، فقد ذكره كثير من أئمتنا وأسلافنا في كتبهم، حتى أن بعضهم قد عقد له باباً خاصاً في مؤلفاتهم بما يخص موضوع اللسان وآفاته وطرق اجتنابها، وما ذلك إلا لبيان أهمية اجتناب تلك الآفات، للفوز بمرضاة الله عزو جل والنجاة يوم القيامة.

ومن هؤلاء الأئمة أذكر على سبيل المثال لا الحصر، الإمامين الجليلين:

الإمام ابن الأثير الجزري صاحب كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول.

الإمامة ابن قدامة المقدسي صاحب كتاب مختصر منهاج القاصدين.

وغيرهما كثير.

وإنني في موضوع بحثي هذا قد أفدت من كتابيهما الكثير، وكانا المرجع لي في إعداد هذا البحث، فجزاهما الله عني خيراً.

أسأل الله العلي القدير أن يعلمنا ما ينفعنا وينفعنا بما علمنا، ويزدنا علماً وعملاً وفقهاً في الدين، وأن يجعل ما تعلمناه حجة لنا لا حجة علينا، وأن يرزقنا الإخلاص لوجهه الكريم.

وأسأله تعالى أن يوفقنا والمسلمين للعمل بكتابه وسنة نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام، إنه سميع مجيب.

اللسان فصاحته من جهة وحفظه وسلامته من الآفات من جهة أخرى:

الفصاحة: من أفصح بمعنى أبان وكشف، فهي بمعنى البيان والكشف.

وفصاحة اللسان تكون بالنطق الصحيح السليم مع البيان، لذلك يظهر لنا أهمية العناية بالنطق السليم والصحيح لمخارج الحروف وتصحيح أي اعوجاج في ذلك، ليسلم من العي وما شابهه من العيوب التي تكون في اللسان.

ولقد عني العرب قديماً بهذا الأمر، فقد كانت قريش على ما هي عليه من الفصاحة تسترضع أولادها وأطفالها في القبائل العربية البدوية، لينشأ الطفل على البلاغة والفصاحة مع النطق السليم دون عيب أو ما شابهه.

فهذا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم استرضع في بني سعد، فكانت مرضعته حليمة السعدية.

وذلك جرياً على عادة العرب في هذا الأمر. هذا جانب وهو جانب حسي ظاهري.

والجانب الآخر: هو سلامة اللسان وحفظه من الآفات المعنوية وهي كثيرة، وما أكثر ما نبهنا وأرشدنا إليها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وحثنا على اجتنابها والبعد عنها كأفراد ومجتمع إسلامي متكامل لما هو من عظيم الخطورة في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق18].

فآفات اللسان كثيرة ومتنوعة، ولها في القلب حلاوة، ولها بواعث من الطبع، ولا نجاة من خطرها إلا بالصمت، فهو يجمع الهمة ويفرغ القلب، فقد قال سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:" ما شيء أحوج إلى طول سجن من لساني ".

وقال سيدنا أبو الدرداء رضي الله عنه:" أنصف أذنيك من فيك، فإنما جُعلت لك أذنان وفم واحد، لتستمع أكثر مما تتكلم به ".

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما " **من كف لسانه ستر الله عورته** ". أخرجه ابن أبي الدنيا

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه يرفعه قال:" **إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلَّها تستكفي اللسان، فتقول: اتقِ الله فينا، فإنما نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا** ".أخرجه الترمذي.

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت:" **يا نبي الله، حدثني بأمر اعتصم به، قال: قل: ربي الله، ثم استقم، قال: قلت: يا رسول الله، ما أخوف ما تخاف عليَّ ؟ فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: هذا** " أخرجه الترمذي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** " أخرجه الترمذي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **من حُسن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه** " أخرجه الترمذي

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول ما النجاة ؟ قال: **أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك** " أخرجه الترمذي

وفي حديث معاذ رضي الله عنه "**.....قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه قال:كُفَّ عليك هذا، قلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال ثكلتك أمك، وهل يكبُّ الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم** ؟ رواه الترمذي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم " **من وقاه الله شر مابين لَحْيَيهْ، وشر مابين رجليه، دخل الجنة** " أخرجه الترمذي (مابين لحييه): أي لسانه بأن حبسه عن الشر وأجراه في الخير.

وعن أسلم مولى عمر " أن عمر دخل يوماً على أبي بكر الصديق وهو يجبذ لسانه، فقال عمر: مه ؟ غفر الله لك ؟، فقال له أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد " أخرجه مالك في الموطأ.

وفي الحديث " **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان** " متفق عليه.

قال الحافظ بن حجر: " وقد رأيتها تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان وأعمال البدن، ثم ذكر وقال: وأعمال اللسان تشتمل على سبع خصال: التلفظ بالتوحيد، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم وتعليمه، والدعاء والذكر ويدخل فيه الاستغفار، واجتناب اللغو ".

ومن هذه الأحاديث وغيرها نرى أنه من تأمل في آفات اللسان علم أنه إذا أطلق لسانه لم يسلم، وعند ذلك يعرف سر قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث:" **من صمت نجا** " أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

لأن هذه الآفات مهالك، وهي على طريق المتكلم، فإن سكت سلم.

وبعد هذا سأعرض وأذكر هذه الآفات وبالله التوفيق:

– الكلام فيما لا يعني:

إن من عرف قدر زمانه، وأنه رأس ماله، لم ينفقه إلا في فائدة، وهذه المعرفة توجب حبس اللسان عن الكلام فيما لا يعني. ففي الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **من حُسن إسلام المرء، تركه ما لا يعنيه** " أخرجه الترمذي.

وقد قيل للقمان الحكيم:" ما بلغ من حكمتك ؟ قال: لا أسأل عما كفيته، ولا أتكلم بما لا يعنيني ".

وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **كل كلام بن آدم عليه لا له، إلا أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكر الله** ". أخرجه الترمذي.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " **لا تكثر الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله عز وجل قسوة للقلب، وإن أبعد الناس من الله: القاسي القلب** ". أخرجه الترمذي.

– الخوض في الباطل:

وهو كلام في المعاصي، وأنواع الباطل كثيرة، ففي الحديث:

– "**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار** " رواه الترمذي

وعن بلاب بن الحارث المزني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **إن الرجل ليتكم بالكلمة من رضوان الله، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها رضوانه**

إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه " أخرجه الترمذي ومالك في الموطأ.

– الجدال و المراء:

وهو كثرة الملاحاة (أي المنازعة) للشخص لبيان غلطه وإفحامه، والباعث على ذلك الترفع.

فينبغي للإنسان أن ينكر المنكر من القول، ويبين الصواب، فإن قُبِل منه وإلا ترك المماراة.

هذا فيما يتعلق بأمور الدين، فأما إذا كان في أمور الدنيا فلا وجه للمجادلة فيه. ففي الحديث:

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **أنا زعيم ببيت في رَبَض الجنة لمن ترك المِراءَ، وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حَسُنَ خُلُقَهُ** " أخرجه أبو داود و المراء هو الجدال وربض المدينة: ما حولها من العمارة.

– الخصومة:

وهي أعظم من المراء وأمر زائد عليه، والمقصود بها هنا الخصومة بالباطل أو بغير علم. فأما كل من له حق فالأولى أن يعرض عن الخصومة.

فالخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب وتورث الحقد وتخرج إلى تناول العرض. ففي الحديث:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **كفى بك إثماً أن لا تزال مخاصماً** " أخرجه الترمذي.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **لا تُمار أخاك، ولا تمازحه، ولا تعده موعداً فتخلِفَه** " أخرجه الترمذي.

– التقعر في الكلام:

ويكون ذلك بالتشدق، وتكلف السجع. ففي الحديث:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **إن من أحبَّكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا يا رسول الله قد علمنا " الثرثارون والمتشدقون " فما المتفيهقون ؟ قال المتكبرون** " أخرجه الترمذي.

ومعنى (الثرثارون): الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجاً حد الواجب.

(المتفيهقون): الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم ويتنطعون، وهو مأخوذ من الفَهَق وهو الامتلاء كأنهم يملؤن به أفواههم.

(المتشدقون): هم الذين يتكلمون بملء أفواههم تفاصحاً وتعظيماً لنطقهم.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **إن الله يبغض البليغ من الرجال، الذي يتخلَّلُ بلسانه كما تتخلَّل البقرة** " أخرجه الترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **من تعلَّم صَرْف الكلام ليَسْتَبِيَ به قلوبَ الرجال – أو الناس – لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً** ". أخرجه أبو داود.

(صرف الكلام) أراد به: ما يتكلفه الإنسان من الزيادة فيه من وراء الحاجة.

وإنما كره صلى الله عليه وسلم ذلك لما يدخله من الرياء والتصنُّع، ولما يخالطه من الكذب والتزيُّد.

(ليستبي به) الاستباء: افتعال من السبي، كأنه ينهب بكلامه قلوب السامعين.

(صرفاً ولا عدلاً) العدل: الفرض، والصرف: النافلة، وقيل: الصرف التوبة، والعدل: الفِدْيَةُ

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **هلك المتنطعون، قالها ثلاثاً** " أخرجه مسلم وأبو داود

(التنطع في الكلام): التعمُّق فيه والتفاصح.

– المزاح:

الإفراط في المزاح والمداومة عليه منهي عنه لأنه يسقط الوقار ويوجب الضغائن والأحقاد.

وأما اليسير منه فلا ينهى عنه إذا كان صدقاً. فإن فيه انبساطاً وطيب نفس، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح ولا يقول إلا حقاً. فد ورد في الحديث:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: " **يا رسول الله إنك لتُدَاعِبنا، قال: إني لا أقول إلا حقاً** " أخرجه الترمذي.

– الفحش والسب والبذاء واللعن:

وهو مذموم منهي عنه ومصدره الخبث واللؤم. ففي الحديث:

" **الجنة حرام على كل فاحش** " أخرجه بن أبي الدنيا وأبو نعيم في الحلية.

والفحش والبذاء: هو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:" **لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول إن من خياركم: أحسنكم أخلاقاً** " أخرجه البخاري ومسلم والترمذي

(الفاحش): ذو الفحش في كلامه.

(المتفحش): الذي يتكلف ذلك ويتعمده.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُقٍ حسن، وإن الله يبغض الفاحش البذيء** " أخرجه الترمذي.

(البذيء): على وزن فعيل من البذاءة، وهو الفحش في النطق.

وفي الحديث من رواية أبي داود:" **إن من شِرار الناس الذين يُكْرَمُون اتقاء ألسنتهم** ".

وعند الترمذي وأبي داود أيضاً " **من تركه الناس – أو وَدَعَهُ الناس – اتقاء فُحشِهِ** ".

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **استحيوا من الله حق الحياء، قلنا: إنا لنستحيي من الله يا رسول الله، والحمد لله، قال: ليس ذلك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء** " أخرجه الترمذي.

(فإن البطن وما حوى والرأس وما وعى) يعني: " بما حوى " المأكول والمشروب

" وبما وعى " السمع والبصر واللسان.

والمراد به: الحث على الحلال من الرزق واستعمال هذه الجوارح فيما يُرضي الله تعالى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاءُ من الجفاءِ، والجفاءُ في النار** " أخرجه الترمذي.

(الجفاء): التباعد من الناس والغِلظةُ عليهم.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **ما كان الفُحش في شيء إلا شانه، وما كان الحياء في شيء إلا زانه** " أخرجه الترمذي

(شانه): الشين: العيب.

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **الحياءُ والعَيُّ شعبتان من الإيمان، والبذاءُ والبيان شعبتان من النفاق** " أخرجه الترمذي.

وقال:(العَيُّ) قلة الكلام. (البذاء) الفحش في الكلام. (البيان) هو كثرة الكلام، مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون الناس ويتوسعون في الكلام ويتفصحون فيه من مدح الناس فيما لا يرضي الله.

والبيان حقيقته: فإنه ضد العي: وهو القدرة على الكلام، والنطق بما في النفس وإيصاله إلى المخاطب في أحسن صورة.

والمنهي عنه: إنما هو التعمق في النطق والتفاصح وإظهار التقدم فيه على الناس، وكأنه نوع من العجب. ولكن ليس كل البيان مذموماً، إنما يُذم منه ما كان واقعاً هذا الموقع، وإلا فالبيان في نفسه محمود.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **ليس المؤمن بطعَّان، ولا لعَّان، ولا فاحشٍ، ولا بذيء**" أخرجه الترمذي.

(الطعان): الذي يطعن في أعراض الناس، ويقع فيهم. ومنه: الطعن في النسب وهو القدح فيه.

وعن أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " **إن اللعَّانين لا يكونون شهداءَ، ولا شفعاء يوم القيامة** " أخرجه مسلم وأخرجه أبو داود المسند منه فقط ولم يذكر " يوم القيامة ".

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لا يكون المؤمن لعَّاناً** " أخرجه الترمذي

وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **لا تلاعَنُوا بلعنةِ الله، ولا بغضب الله، ولا بالنار** " أخرجه أبو داود والترمذي.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **سِبَابُ المسلم فسوق، وقتاله كفر**" أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " **إذا لعن العبد شيئاً صَعِدَت اللعنة إلى السماء، فتُغْلق أبواب السماء دونها، ثم يهبط إلى الأرض، فتُغْلَق أبوابها دونها، فتأخذ يميناً وشمالاً، فإذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لُعِنَ فإن كان لذلك أهلاً، وإلا رجعت إلى قائلها** " أخرجه أبو داود.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما** ".

وفي رواية أخرى:" أيما امرىءٍ قال لأخيه: كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه " أخرجه الجماعة إلا النسائي

(باء بها): باء بالشيء: إذا رجع به واحتمله.

وعن جابر بن سليم، قال:" **أتيت المدينة، فرأيت رجلاً يَصْدُر الناس عن رأيه، لا يقول شيئاً إلا صَدَرُوا عنه، قلت : من هذا ؟ قالوا: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فقلت: عليك السلام يا رسول الله – مرتين – فقال: لا تقل: عليك السلام، فإن ذلك تحية الميت، قل: السلام عليك، قلت: أنت رسول الله ؟ قال: أنا رسول الله الذي إن أصابك ضُر، فدعوته، كشفه عنك، وإن أصابك عامٌ سَنَةٍ، فدعوته أنبتها لك، وإن كنت بأرضٍ قفر، أو فلاة، فضلت راحلتك، فدعوته ردّها عليك، قلت: اعهد إلي، قال: لا تَسُبَّنّ أحداً، قال: فما سَبَبْتُ بعد ذلك حُراً ولا عبداً، ولا شاة ولا بعيراً، قال: ولا تحقِرَنّ شيئاً من المعروف، وأن تُكلِّمَ أخاك وأنت منبسط إليه بوجهك، فإن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين. وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شَتمك أو**

عيَّرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه، يكن وبال ذلك عليه " أخرجه أبو داود وأخرج الترمذي منه حديث السلام لا غير.

– السخرية والاستهزاء:

فالسخرية: هي الاحتقار والاستهانة، والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول، وقد يكون بالإشارة والإيماء. فقد ورد في الحديث:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **من عيَّرَ أخاه بذنب لم يمتْ حتى يعملهُ** ".

قال أحمد: من ذنب قد ناب منه أخرجه الترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إذا سمعتم الرجل يقول: هلك الناس، فهو أهلكُهُم** " أخرجه مسلم ومالك في الموطأ وأبو داود.

قال أبو إسحاق: سمعته بالنصب والرفع ولا أدري أيهما قال يعني (أهلكَهُم).

وقد فسره مالك فقال: إذا قال ذلك معجباً بنفسه مزرياً بغيره، فهو أشد هلاكاً منهم، لأنه لا يدري سرائر الله في خلقه، وأما إذا قاله وهو يرى نفسه معهم وهو لنفسه أشدُّ احتقاراً منه لغيره، فلا بأس به.

وقوله في الحديث (فهو أهلكهم): قال الخطابي: فيه وجهان،

أحدهما: أنه في أصحاب الوعيد ؟، ومن يرى رأي الغلاة منهم في الخلود على الكبيرة، واليأس من عفو الله، والقنوط من رحمته، يقول: فمن رأى هذا الرأي، كان أشد هلاكاً، وأعظم وزراً، ممن قارف الخطيئة، ثم لم ييأس من الرحمة.

الوجه الثاني: أن يكون ذلك في الرجل يولع بذكر الناس، وإحصاء عيوبهم، وعدِّ مساوئهم، فهو لا يزال يقول: هلك الناس، وفسدت نياتهم، وقلت أماناتهم، ويذهب بنفسه عجباً، ويرى لها على الناس فضلاً. يقول: فهذا بما يناله في ذبك من الإثم أشدُّ هلاكاً وأعظم وزراً

هذا التأويل على أن تكون الرواية بالرفع (أهلكُهم)

وأما من رواه بالنصب (أهلكَهم): فإنما يريد أنه بقوله هذا قد أهلك الناس، يؤيسهم من الرحمة، فيجرِّئهم على ارتكاب الذنوب، ومقارفة المعاصي.

– كلام ذي اللسانين:

وهو الذي يتردد بين المتعادين، وينقل كلام كل واحد إلى الآخر، ويكلم كل واحد بكلام يوافقه، أو يعده أنه ينصره، أو يثني على الواحد في وجهه ويذمه عند الآخر.

وفي الحديث:" **إن شر الناس ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه** ".

– الخطأ في فحوى الكلام فيما يرتبط في أمور الدين:

لاسيما فيما يتعلق بالله تعالى، ولا يقدر على تقويم اللفظ بذلك إلا العلماء الفصحاء. فمن قصر في علم أو فصاحة، لم يخل كلامه عن الزلل، لكن يعفو الله عنه لجهله. ومن ذلك ما ورد الحديث:

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " **لا يقل أحدكم: ما شاء الله وشئت، ولكن ليقل: ما شاء الله ثم شئت** ". وذلك لأن في العطف المطلق تشريكاً وتسوية.

– المدح:

منه ما يتعلق بالمادح، ومنه ما يتعلق بالممدوح:

فأما آفات المادح: فإنه قد يقول ما لا يتحققه، ولا سبيل للاطلاع عليه. مثل أن يقول عن شخص إنه ورع وزاهد " وقد يفرط في المدح فينتهي إلى الكذب، وقد يمدح من ينبغي أن يذم.

وقد روي في الحديث:" **إن الله تعالى يغضب إذا مدح الفاسق** " أخرجه بن أبي الدنيا في الصمت والبيهقي ف يا لشعب من حديث أنس.

وأما الممدوح: فإنه يحدث فيه كبراً أو إعجاباً وهما مهلكان ولهذا ورد في الحديث:

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: " **أثنى الرجل على رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ويلك قطعت عنق صاحبك، – ثلاثاً – ثم قال: من كان منكم مادحاً أخاه لا محالة، فليقل: أَحْسِبُ فلاناً، والله حسيبه، ولا يزكي على الله أحد ؟، أَحْسِبْ كذا وكذا، إن كان يعلم ذلك منه** " أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود.

ومعنى (قطعت عنق صاحبك) أي: أهلكته بالإطراء والمدح الزائد، وتعظيمك شأنه عند نفسه، فإنه يعجب بنفسه، فيهلك، كأنك قد قطعت عنقه.

وعن عبد الله بن سخبرة قال: قام رجل يثني على بعض الخلفاء، فجعل المقداد رضي الله عنه يحثي عليه التراب، فقال له: ما شأنك ؟ فقال: " **أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثو في وجه المداحين التراب** " رواه الترمذي

معنى المداحون: هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة، وجعلوه بضاعة يأكلون به الممدوح، فأما من مدح على الفعل الحسن والأمر المحمود، ترغيباً في أمثاله، وتحريضاً للناس على الاقتداء به في أشباهه، فليس بمداح وإن كان قد صار مادحاً بما تكلم به من جميل القول. وقد استعمل المقداد الحديث على ظاهره في تناول التراب بيده وحثيه في وجه المادح. وقد يتؤول أيضاً على وجه آخر، وهو أن يكون معناه: الخيبة والحرمان أي: من تعرض لكم بالثناء والمدح فلا تعطوه واحرموه فكنى بالتراب عن الحرمان، كقولهم: " ماله غير التراب، وما في يده غير التراب ".

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:" **أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثو في أفواه المداحين التراب** ".

فأما إن سلم المدح من هذه الآفات لم يكن به بأس، فقد أثنى النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وغيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

- **إفشاء السر، وإخلاف الوعد، والكذب في القول واليمين:**

فقد وردت أحاديث كثيرة في التحذير من هذه الآفات وأنها من صفات المنافقين ومن هذه الأحاديث:

قال مالك في الموطأ: بلغه أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقول:" **عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، ألا ترى أنه يقال: صدق وبر وكذب وفجر ؟**".

وقد روى أبو داود والترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً** ".

(البر): هو الإحسان والاتساع فيه.

(الفجور): هو الفحش، والأصل فيه الميل عن القصد.

وعن أبي الحوراء السعدي ربيعة بن شيبان قال: قلت للحسن بن علي رضي الله عنهما: ما حفظت منت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال: **حفظت منه:دَعْ ما يَرِيبُك إلى مالا يَرِيبُكَ، فإن الصدق طمأنينة والكذب ريبة** " أخرجه الترمذي

(يريبك): الريب: هو الشك والتهمة.

أي: دع ما يوقعك في التهمة والشك، وتجاوزه إلى ما لا يوقعك فيهما.

وعن صفوان بن سليم رضي الله عنه قال: **قلنا يا رسول الله: أن يكون المؤمن جباناً ؟ قال: نعم، قيل له: أيكون بخيلاً ؟ قال: نعم، قبل: أيكون المؤمن كذاباً ؟ قال: لا** " أخرجه مالك في الموطأ.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلاً من نتن ما جاء به** " أخرجه الترمذي.

وروى مالك بن أنس أنه بلغه أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " إنه لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب، فينكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسودَّ قلبه، فيكتب عند الله من الكذابين " أخرجه مالك في الموطأ.

(التحري): هو القصد.

وعن بهز بن حيكم رحمه الله عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " ويل للذي يُحَدِّثُ بالحديث ليُضْحِكَ به القوم، فيكذب، ويل له، ويل له ". أخرجه أبو داود والترمذي.

(الويل): هو الحزن والكرب،وإنما يقال ذلك عند المكروه. وقيل هو: شدة العذاب. وقيل: هو اسم واد في جهنم.

وعن سفيان بن أسيد الحضرمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" **كَبُرت خيانة أن تُحَدِّثَ أخاك حديثاً هولك به مُصَدَّق، وأنت له به كاذب** ".أخرجه أبو داود.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال سمعت رسول صلى الله عليه وسلم:" **كفى بالمرء كذباً أن يُحَدِّث بكل ما سمع** ".أخرجه مسلم وأبو داود

وقد ورد في اليمين الفاجرة أحاديث منهما:

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **من حلف على يمين صبورةٍ كاذباً فليتبوأ بوجهه مقعده من النار** " أخرجه أبو داود.

(مصبورة): أصل الصبر: الحبس، وقتل فلان صبراً، أي: حبساً على القتل، وقهراً عليه.

ويمين الصبر: هو أن يلزم الحاكم الخصم اليمين حتى يحلف ويقفه ويلزمه بها وقوله:

(يمين مصبورة): يعني لازمة لصاحبها من جهة الحكم. وقيل لليمين: مصبورة – وإن كان صاحبها في الحقيقة هو المصبور لأنه إنما صُبِرَ من أجلها، فأضيف الصبر إلى اليمين مجازاً واتساعاً.

(فليتبوأ): تبوأت المنزل: إذا اتخذته سكناً تنزل فيه وتسكنه.

وعن إياس بن ثعلبة الحارثي وهو أبو أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **من اقتطع حق امرىءٍ مسلم بيمينه، حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار، قالوا: وإن كان شيئاً يسيراً ؟ قال: وإن كان قضيباً من أراك** " أخرجه مسلم والنسائي.

وفي رواية الموطأ:" وإن كان قضيباً من أراك، وإن كان قضيباً من أراك " قالها ثلاث مرات.

– الغيبة:

ورد في القرآن النهي عنها، وشبه صاحبها بآكل الميتة وفي الحديث:

" **إياكم والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا، إن الرجل قد يزني ويشرب ثم يتوب، ويتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر الله له حتى يغفر له صاحبه** " أخرجه بن أبي الدنيا في ذم الغيبة.

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما: إياك والغيبة، فإنها إدام كلاب الناس.

ومعنى الغيبة: أن تذكر أخاك الغائب بما يكرهه إذا بلغه، سواء كان نقصاً في بدنه أو في نسبه أو في خُلُقه أو في ثوبه وليعلم أن كل ما يفهم منه مقصود الذم، فهو داخل في الغيبة سواء كان بكلام أو بغيره كالغمز والإشارة والكتابة بالقلم والمستمع للغيبة شريك فيها إلى أن ينكر بلسانه أو بقلبه أو قطع الكلام بكلام آخر أو قام من المجلس.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً:" **أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: ذِكر أحدكم أخاه بما يكره، فقال رجل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته** " أخرجه أبو داود والترمذي.

(بهته): البهت: الكذب والافتراء على الإنسان

عن المطلب بن عبد الله بن حنطب المخزومي قال: إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم " **ما الغيبة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن تذكر من المرء ما يكره أن يسمع،**

قال: يا رسول الله وإن كان حقاً ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قلت باطلاً: فذلك بهتان " أخرجه مالك في الموطأ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت " **يا رسول الله: حسبك من صفية قِصرها، قال: لقد قلت كلمة لو مزج بها البحر لمزجته، قالت: وحكيت له إنساناً فقال: ما أحب أني حكيت إنساناً وأن لي كذا وكذا** " أخرجه الترمذي وأبو داود.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:**لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم (وصدورهم) فقلت: من هؤلاء يا جبريل ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم** " أخرجه أبو داود.

وعن المستورد بن شداد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **من أكل برجل مسلم أُكلة، فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن كُسِيَ ثوباً برجل مسلم فإن الله يكسوه مثلها من جهنم، ومن قام برجل مقام سُمْعَةٍ ورياءٍ فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة** " أخرجه أبو داود وفي نسخ أبي داود: مثله.

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" **من أذل عنده مؤمن وهو يقدر أن ينصره أذله الله عز وجل على رؤوس الخلائق** " رواه أحمد والطبراني من حديث سهل بن حنيف.

وعن سعد بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **إن من أربى الربا، الإستطالة في عرض المسلم بغير حق** " أخرجه أبو داود.

وعن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " **من حمى مؤمناً من منافق، بعث الله مَلَكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مؤمناً بشيء يريد شينه به، حبس يوم القيامة على جسر من جسور جهنم حتى يخرج مما قال** " أخرجه أبو داود – في نسخ أبي داود: مسلماً.(شينه) الشين: هو العيب، وهو ضد الزين.

وعن جابر بن عبد الله وأبو هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **لا غيبة لفاسق ولا مُجاهر، وكل أمتي معافىً إلا المجاهرون** " أخرجه الترمذي.

(المجاهر): هو الذي يظهر المعاصي ولا يتحاشاها اطراحاً لأوامر الله تعالى.

– النميمة:

النميمة: تطلق في الغالب على نقل قول إنسان في إنسان مثل أن يقول:" قال فيك فلان كذا وكذا ".

وحدها: كشف ما يكره كشفه، سواء كان من الأقوال أو الأعمال.

ففي الحديث: عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" **لا يدخل الجنة قتات** " أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود ولمسلم مثله قال " نمام ".

وفي رواية الترمذي قال: " قيل لحذيفة: إن رجلاً يرفع الحديث – وفي رواية: ينمي الحديث إلى الأمير – فقال له حذيفة: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **لا يدخل الجنة قتات** ".

(القتات): هو النمام وهو الذي ينقل الحديث بين الناس ليوقع بينهم.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **لا يُبَلِّغُني أحد عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر** " أخرجه أبو داود

وفي رواية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **لا يُبَلِّغُني أحد عن أحد شيئاً** " أخرجه الترمذي

–الغناء:

سئل الإمام مالك عن الغناء: إنما يفعله الفساق

وقد أجمع الفقهاء على الزجر عن الغناء.

وبعد:

إن في هذه الآفات السابقة الذكر وغيرها لدليل على سوء خُلُق صاحبها، وقد نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن سوء الخلق، بل على العكس أوصانا بحسن الخلق في أحاديث عِدّة منها:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: " **كان آخر ما أوصاني به رسول الله صلى الله عليه وسلم – حين وضعت رجلي في الغرز – أن قال: يا معاذ، أحسن خُلُقك للناس** " أخرجه مالك في الموطأ.

قال الإمام الزرقاني في شرح الموطأ: بأن يظهر منه لمجالسه أو الوارد عليه البشر والحلم والإشفاق والصبر على التعليم والتودد إلى الصغير والكبير.

(وأما قوله في الحديث " **الناس** " فإنه وإن كان لفظه عاماً، لكن أريد به من يستحق تحسين الخلق لهم، فأما أهل الكفر، والإصرار على الكبائر، والتمادي على الظلم، فلا يؤمر بتحسين الخلق لهم، بل يؤمر بالإغلاظ عليهم) قاله الباجي.

وروى مالك بن أنس رحمه الله تعالى أنه بلغه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" **بعثت لأتمم حُسن الأخلاق** " أخرجه مالك في الموطأ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" **إن المؤمن ليُدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم** " أخرجه أبو داود.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إن من أكمل المؤمنين إيماناً، أحسنهم خُلُقاً وألطفهم بأهله** " أخرجه الترمذي.

وهناك أحاديث أخرى سبق ذكر بعض منها.

وأختم بحثي هذا بالدعاء والابتهال إلى الله تعالى أن يردنا والمسلمين جميعاً إلى كتابه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام رداً جميلاً وان يصلح أحوالنا ويحسن أخلاقنا إنه سميع مجيب. آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.